الزمن النحوي

في قصيدة (يا دجلة الخير) للجواهري

الدكتورة
لمى عبد القادر خنياب
كلية الآداب / جامعة القادسية

المقدمة :

يمثل الزمن حركة الوجود البشري في تغيره وصيرورته، إذ ينطلق من داخل الذات الإنسانية فيصبح الزمن طويلاً في حال الحزن والخوف ويقصر كل القصر في حال السعادة و الغبطة ،فهو رهن بالحال النفسية للإنسان ،وقد عبّرت العربية عن الزمن تعبيراً دقيقاً بدء من وضع مفردات اختصت بالزمن والبناء الصرفي للفعل ، وانتهاء بالتركيب النحوي للجملة وأثره في توجيه الزمن .

وقُسم العمل في البحث على ثلاثة محاور مسبوقة بمدخل في الزمن النحوي ، وهي : المحور الأول تناول جملة الزمن الماضي ، وما لهذا الزمن من جهات زمنية ، يقع تحديدها على الأدوات و النواسخ و الضمائم والقرائن الحالية في الغالب . وقد كشف البحث عمّا وجد منها في قصيدة الجواهري (يا دجلة الخير) ، أما الثاني فقد اختص بالجملة في الزمن الحاضر ، والثالث شُغل بالجملة في الزمن المستقبل . وقد هيمن الزمن الماضي على قصيدة الجواهري هذه ، لا عجب وقد نحت فيها أجمل كلمات الحنين إلى وطنه ودجلته ، سارداً فيها ذكرياته : آلامه ، و أفراحه .

مُدخل :

الزمن النحوي :

إن الزّمن والزمان اسم لقليل الوقت و كثيره"١. وفي الدرس النحوي استعمل النحاة الزمان للدلالة على الماضي والحاضر والمستقبل ، قال ابن يعيش :" لما كانت الأفعال مساوقة للزمان ،والزمان من مقومات الأفعال توجد عند وجوده وتنعدم عند عدمه؛ انقسمت بأقسام الزمان . ولما كان الزمان ثلاثة : ماض وحاضر ومستقبل، وذلك من قبل أن الأزمنة حركات الفلك ، فمنها حركة مضت ، ومنها حركة لم تأتِ بعد، ومنها حركة تفصل بين الماضية والآتية كانت الأفعال كذلك "٢ أما المحدثون فقد ذهبوا إلى التفريق بين مصطلحي الزمن والزمان . فالزمن تعبير لغوي يدخل في تحديد معنى الصيغ المفردة وفي تحديد معناها في السياق ، والزمان مقياس يعبر عن الوقت يدخل في دائرة المقاييس ولا علاقة له بالحدث ، فهو كمية رياضية من كميات التوقيت تقاس بأطوال معينة كالثواني والدقائق..الخ ،فلا يدخل في تحديد معنى الصيغ المفردة ، ولا في تحديد معنى الصيغ في السياق، ولا يرتبط بالحدث كما يرتبط الزمن النحوي٣.

وقد حدد النحاة العرب الزمن الصرفي منذ وقت مبكر عند تقسيمهم للأفعال إلى ماضٍ ومضارع وأمر، فصيغة " فعل وقبيلها تفيد وقوع الحدث في الزمن الماضي وصيغة يفعل

تفيد وقوع الحدث في الحال أو الاستقبال، وصيغة افعل تفيد وقوع الحدث في الحال والاستقبال "٤ أيضاً.

أما الزمن النحوي فهو وظيفة في السياق يؤديها الفعل أو الصفة أو ما نقل إلى الفعل كالمصادر والخوالف إذ أن " النحو هو نظام العلاقات في السياق فمجال النظر في الزمن النحوي هو السياق وليس الصيغة المنعزلة...إن الزمن النحوي وظيفة السياق تحددها الضمائم والقرائن "٥ . وهذا يستدعي قراءة السياق قراءة دقيقة مع توظيف القرائن الحالية (المقام) ، والمقالية اللفظية منها والمعنوية٦؛ للكشف عن الدلالة الزمنية فيه .

يختلف الزمن عن الجهة الزمنية ، فالزمن محصوربالماضي والحاضر والمستقبل ، وجُعل لكل من هذه الأزمنة جهات ،فتسع منها للماضي وهي :جهة للماضي البعيد المنقطع ،والقريب النقطع ،و المتجدد ،والمنتهي بالحاضر ، والمتصل بالحاضر ، والمستمر ، والبسيط ، و المقارب ، و الشروعي . أما الحال فله ثلاث جهات وهي : الحال العادي ، و التجددي ، والاستمراري . أما المستقبل فله أربع جهات وهي : البسيط ، والقريب ، والاستمراري ، والبعيد . وتكون معاني الجهة فيما تفصح عنها اصطلاحات البعد ، والقرب ، والانقطاع ، والمقاربة ،والشروع ، والاتصال ، والتجدد ، والانتهاء ، والاستمرارية . فيكون الزمن لصيغة الفعل والجهة للأدوات والقرائن الأخر٧.

جملة الزمن الماضي :

يُعبر عن الزمن الماضي في الجملة بصيغة (فعل) غالباً وتكون جملة مثل (جاء زيد) جملة مستوعبة للزمن الماضي برمته، فهو ماض مجهول٨غير محدد حتى تأتي قرينة لفظية أو معنوية أو تأريخية فتحدد زمنه في الماضي فقد يكون ماضياً بعيداً موغلاً في القدم ، وقد يكون قريباً من الحال، أو مستمراً ، أو متجدداً.

وقد تقدم القول بوجود جهات زمنية للماضي ،وسيجري الكشف عنها في قصيدة الجواهري (يا دجلة الخير).

الماضي المتجدد :

ويراد به ما حدث في زمن مضى غير أنه تجدد الوقوعه في الماضي مرات عديدة ثم انقطع عن الحاضر وقد يكون هذا الانقطاع قريباً من الحال أو بعيداً عنه ويتأتى هذا الزمن بصيغة (كان يفعل)٩ . ومن أمثلته في قصيدة الجواهري قوله :

إني وردتُ عيون الماء صافيةً

نبعاً فنبعاً فما كانت لترويني١٠

عبّر الشاعر عن نفيه للارتواء من الماء في منفاه بقوله : (ما كانت لترويني) جاعلاً منه ماضياً متجدداً ، إذ عقد في هذا البيت وسابقه موازنة بين دجلة مصدر ارواء الشاعر ،معبراً عنها بقوله : (يا نبعاً)١١ جاعلاً من المنادى

فيه نكرة غير مقصودة غير أن السياق يفتضح هوية المنادى وهو (دجلة) لكنه قصد التنكير ههنا للمبالغة في وصفها وكأنه قال : (يا نبعاً ولا نبع سواك) . وقد تحقق البعد في الزمن الماضي من صيغة (كان + يفعل) أما اللام في (لترويني) فقد جاءت لتأكيد مضمون الجملة ولا صلة لها بالزمن . تضافر هذا البعد في الزمن الماضي مع دلالة (ما) على النفي إذ هي آكد للنفي ؛ لوقوعها جواباً للقسم بخلاف (لم) مثلاً١٢.

ومثله قول الجواهري :

وكان جُرحُكِ إلهامي مشاركة

وكان يأخذ من جُرحي ويعطيني ١٣

فكان جرح دجلة إلهام للشاعر تجدد غير مرة في الماضي ، فتجدد الأخذ والعطاء في الماضي ثم انقطع عن الحاضر .

وتكرر مثل هذا في قوله:

كانت عباقرةُ الدنيا وقادتُها

تأتي المورِّق في أقصى الدكاكين ١٤

إذ قصد بـ(كانت...تأتي) معنى تجدد مجيء العباقرة واتيانهم دكاكين الوراقين في الماضي، وإن كان هذا الحدث قد انقطع عن الحاضر لكنه تكرر مراراً في الزمن الماضي .

الماضي المنتهي بالحاضر :

ويراد به وقوع الحدث في زمان مضى لكنه قريب من الحال١٥.ويعبر عن هذا المعنى بصيغة (قد يفعل) ١٦ونفي هذه الصيغة يكون بصيغة (ما فعل) أو (لما يفعل) وتوكيدها (لقد فعل)١٧. ومن أمثلته في نونية الجواهري :

يا دجلة الخير قد هانت مطامحنا

حتى لأدنى طماحٍ غيرُ مضمون١٨

إذ دلت صيغة (قد فعل) في قوله: (قد هانت مطامحنا) على الماضي المنتهي بالحاضر وهي تشي بوقوع الحدث في زمن قريب من زمن الحال (زمن التكلم) وقد أفادت (قد) معنى القرب هذا إذ قيل فيها: "حرف التقريب وهو قد . وهو يقرب الماضي من الحال إذا قلت :قد فعل "١٩، " وقيل حرف تقريب مع الماضي ، وتقليل مع المستقبل "٢٠. وأفاد تقريب الحدث الماضي من زمن التكلم ههنا دلالة اليأس الذي تسلل إلى قلب الشاعر فقوله : (قد هانت مطامحنا) يكشف أن هوان المطامح وقع في الماضي غير أنه قريب من الحاضر. يؤكد هذه الدلالة قوله في الشطر الثاني: (حتى لأدنى طماح غير مضمون).

ومثله قوله :

أدري على أي قيثارٍ قد انفجرت

أنغامكِ السُّمر عن أنَّاتِ محزونِ ٢١

فدلت صيغة (قد انفعلت) على وقوع الحدث في زمن ماض قريب من الحاضر بدلالة (قد) . كذلك وردت صيغة (قد فعل) بالدلالة نفسها في قوله :

لك العمى ومتى احتجَّت بأن قعدت

عن الموازين أرباب الموازينِ

بل قد مشت لك كالأصباح عابقة

وأنت تحذرها حذر الطواعين ٢٢

وتتحقق هذه الدلالة بصيغة (لقد فعل) فقال ابن عصفور : "إن القسم إذا أجيب بماض متصرف مثبت فإن كان قريباً من الحال جيء باللام وقد جميعاً" ٢٣. وقد ورد مثل هذا في قوله :

لقد وَدِدتُ وأسرابُ المنى خُدعٌ

لو تَسلمان وأنَّ الموت يطويني ٢٤

وقد تأتى دلالة وقوع الحدث في الماضي المنتهي بالحاضر بصيغة (ما فعل) إذ لا تدخل (ما) على الماضي إلا إذا كان قريباً من الحال٢٥ ،ومن صورها في نونية الجواهري قوله :

يا دجلة الخير : ما ابقيتُ جازيةً

لم أقضِ عندي منها دَينَ مديون ٢٦

فكأنه قال : (ما ابقيت جازية) في الماضي وإلى الآن .

الماضي المتصل بالحاضر :

تتألف جملة الماضي المتصل بالحاضر من الأفعال الناسخة، وهي : (ما زال ، وما فتىء ، وما برح ، وما انفك ، وما دام) مع الفعل المضارع فيكون خبراً لها . وعلى هذا تكون هذه الصيغة حلقة وصل بين الماضي والحاضر٢٧. ومثال ما ورد منها في قصيدة الجواهري :

ودبَّ في القلب من تاموره حزمٌ

ما انفك يثلج صدري حين يُصليني ٢٨

وكأن النار تدب في قلبه ما زالت تثلج صدره . فاختاره الشاعر خير ختام لقصيدته إذ بقي هذا اللهيب يثلج صدره من الماضي إلى زمن التكلم به .

الماضي المستمر :

تتأتى دلالة الماضي على الاستمرارية في الزمن بالأفعال (ظل ، وبات ،و أمسى ،وأضحى) وهو ماض مستمر الحدوث إلى الحاضر وقد يستمر إلى المستقبل بحسب القرائن والضمائم . وتدل هذه الصيغة على وقوع الحدث في الماضي بيد أنه استمر لمدة من الزمن الماضي قد تبتعد أو تقترب من الحاضر ٢٩. ومن صوره في قصيدة الجواهري :

يا دجلة الخير : يامن ظلَّ طائفها

عن كل ما جَلَتِ الأحلام يلهيني ٣٠

إن المستوى العميق للتركيب هو : (يامن ظل يلهيني طائفها...) فدلت صيغة (ظل يفعل) على استمرار الحدث (يلهيني) في الماضي .

ولدلالة الماضي المستمر صيغة أخرى وهي (لم يفعل)٣١ الدالة على نفي وقوع الحدث في الماضي المستمر. إذ تدخل (لم)٣٢ على صيغة (يفعل) الدالة على وقوع الحدث في الحاضر، لكن (لم) تقلب زمن الصيغة إلى الماضي "وهي نفي لقوله :فعل"٣٣، وهي أداة مختصة بنفي الفعل وبناء (يفعل) خاصة، فتنفي وقوع الحدث في الماضي٣٤ ،وتدل صيغة (لم يفعل) على

نفي وقوع الحدث في الماضي المنقطع وإيجابها (فعل)٣٥ ، ويرى المبرد أنها تفيد توكيد النفي لأنها تقابل (قد فعل) في الإثبات فتفيد بهذا الماضي القريب من زمن الحال، ففي قولك: قد فعل تقول مكذباً: لم يفعل ، فإنما نفيت أن يكون فعل فيما مضى٣٦.

وقد شاع نفي المضارع بـ(لم) في القصيدة ، غير أنه انحصر في صيغتين: الأولى صيغة (لم يفعل) الدالة على نفي الحدث في الماضي المنقطع٣٧، أو الماضي المستمر٣٨، إذ يحتمل منفي (لم)الاتصال والانقطاع ٣٩ أي يدل الاتصال على ان النفي مستمر إلى زمن التكلم أما الانقطاع فيعني أن النفي حدث في الماضي ثم انقطع عن الحاضر. ومن دلالته على الماضي المستمر في القصيدة موضع البحث قوله:

تهزين أن لم تزل في الشرق شاردةً

من النواويس أرواحُ الفراعين ٤٠

والتقدير : لم تزل أرواح الفراعين شاردة من النواويس (التوابيت). وهذه الصيغة (لم + تزل+ اسم الفاعل (شاردة)) دلت على وقوع الهروب من التوابيت في الماضي ، وما زال مستمراً إلى زمن التكلم فيه . وقد وظّف الشاعر جملة عناصر لغوية ؛ ليؤدي هذا المعنى: أولها صيغة (لم تزل) ودلالتها المعجمية على الدوام والاستمرارية ٤١، فضلاً عن دلالة اسم الفاعل (شاردة) على معنى الاستمرارية في الزمن "إذ لمح الكوفيون الجوانب الفعلية في اسم الفاعل العامل فهو عندهم فعل [واعتبروه] قسيماً للماضي والمضارع بخلاف اسم الفاعل غير العامل فإنه يستعمل في الجملة استعمال الأسماء التي لا تدل على زمن ألبتة " ٤٢.ويعمل اسم الفاعل في الجملة عمل فعله إذا وقع حالاً ٤٣، وقد وقع حالاً في هذا البيت، ورفع (أرواح الفراعين) فاعلاً لها .فكان إلى الفعلية أقرب منه إلى الاسمية وتضافر هذا مع صيغة (لم تزل) ليؤدي في المحصلة النهائية معنى الاستمرارية في الزمن . ومثله قوله :

لم أعْدُ أبواب ستين ، وأحسبني

هِمّاً وقفتُ على أبواب تسعين ٤٤

فقد دلّ قوله : (لم أعد) على نفي بلوغ الشاعر الستين من العمر غير أنه يَشعر وكأنه شيخٌ على أبواب التسعين ، إن النفي ههنا وقع في الماضي لكنه استمر إلى زمن التكلم فيه بدليل القرينة العقلية . ومثله أيضاً قوله :

ويا زعيماً بأن لم يأتهِ خبرٌ

عما يُنشرُ من تلك الدواوين ٤٥

يخاطب الجواهري في هذا البيت زعماء النقد الأدبي متناولاً إياهم بالنقد والتجريح ٤٦ ، إذ ينفي عنهم الدراية بما يذاع وينشر من الدواوين ، جاعلاً النفي بصيغة (لم يفعل) الدالة على نفي الحدث في الماضي إلى الحاضر ،إذ توحي القرينة السياقية للمقطع الذي أعرب فيه عن استيائه من بعض النقاد لاقحامهم المحاباة والمحسوبية في نقدهم للشعر وتحليله ، بانفعال

الشاعر وثورته التي أفصحت عن وقوع الحدث في الماضي ،لكنه ماض ليس ببعيد وقع وانتهى بل هو ماض متصل بالحاضر مستمر إلى زمن التكلم .

الماضي المنقطع :

أما الدلالة الأخرى لصيغة (لم يفعل) فهي الماضي المنقطع ، أي أن الحدث وقع في الماضي ثم انقطع ولا صلة له بالحاضر. وقد تقدم القول بدلالة (لم يفعل) على الانقطاع. ومن صوره في القصيدة قوله :

غولاً تسنّمتُ لم أسأل أكارعه

إلى الهُوى ، أم على الواحات ترميني ٤٧

بدا أن الشاعر ينفي السؤال في الماضي المنقطع عن الحاضر بدلالة سياق البيت إذ كان في حال سردٍ لحدث وقع وانقضى .

وقد يكون الزمن ماضياً منقطعاً عن الحاضر لكن هذا لا يمنع تجدد حدوثه في الماضي ومنه قوله :

ومنزل السور البتراء لاعنة

من لم يكن قبلها يوماً بملعون ٤٨

إذ تدل صيغة (لم يكن يفعل) التي تضارع قوله : (لم يكن بملعون) على الماضي المتجدد الحدوث ،فينفي عنه اللعن في الماضي غير أن هذا الحدث تجدد في الماضي بدلالة صيغة (لم يكن بمفعول) إذ يشابه اسم المفعول الفعل المضارع ٤٩، ثم انقطع عن الحاضر بدلالة قوله: (قبلها) أي قبل انزاله هذه السور اللاعنة.

جملة الزمن الحاضر :

أنكر بعض النحاة الزمن الحالي جاعلين منه زمناً متوهماً؛ لأنه يشكل نقطة الفصل بين الماضي والمستقبل ،إذ بقدر ما يلفظ به صار الزمن ماضياً، وبهذا يكون نهاية للماضي وبداية للمستقبل٥٠. وقد رفض عدد من الباحثين تحديد الزمن الحالي في هذه النقطة فقط .إذ "يشتمل على جزء من الماضي، وجزء من المستقبل"٥١. فالمضارع٥٢ بحسب ما أطلق عليه النحاة "مشتمل على معنى متسع رحيب يبتدأ بالماضي القريب وينتهي إلى المستقبل البعيد"٥٣. "وقد يفهم منه امتداد من الماضي إلى المستقبل"٥٤.

إن الصيغة الأساسية لهذا الزمن صيغة (يفعل) الدالة في أكثر استعمالاتها على وقوع الحدث في زمن التكلم٥٥. وتختلف الجهات الزمنية للحاضر منها:

الحاضر العادي (البسيط) :

ويراد به الخلو من الجهة الزمنية ويكون الزمن فيه زمن الفعل ولا جهة له ٥٦. ويُؤدى بصيغة المضارع الصرفي (يفعل) واسم الفاعل واسم الفعل المضارع مثل : (أف ، وأوه ، وويل) وغيرها٥٧.

يا دجلة الخير ما يغليكِ من حنقٍ

يُغلي فؤادي وما يشجيكِ يشجيني٥٨

فجاء زمن الجملة المتمثل بصيغة (يفعل)

[يغليك/ يغليني ، يشجيك /يشجيني] دالاً على الزمن الحاضر غير محدد بجهة زمنية فهو زمن ممتد يصدق على الحاضر كله .وقد تؤثر القرائن اللفظية والمعنوية في هذه الصيغة فتكسبها دلالة جديدة غير دلالة البساطة والخلو من الجهة . ومنه قوله :

يا أمَّ تلك التي من (ألف ليلتها)

للآن يعبق عِطرٌ في التلاحين ٥٩

إذ دلت صيغة (يفعل) في (يعبق) على الحاضر البسيط وأكدت القرينة المعنوية في قوله: (من ألف ليلتها) وتحيل إلى قصص ألف ليلة وليلة بوصفها جزء من تاريخ بغداد في عصور مضت أكسب النص دلالة امتداد الزمن من الماضي إلى الحاضر.

أما اسم الفاعل ودلالته على الزمن فقد تقدم القول في ذلك ، ومن أمثلته في الدلالة على الزمن الحاضر البسيط قوله :

والساحب الزقَّ يأباه ويكرهُه

والمنفِق اليومَ يُفدى بالثلاثين ٦٠

فدل قوله : (المنفق اليوم) على الحاضر البسيط دون تحديد لجهته الزمنية فهو حال يشمل الحاضر بأسره وقد أكد قوله : (اليوم) هذه الدلالة.

وتنفى صيغة (يفعل) بـ(ليس) نحو قولك : (ليس المرء يكذب) فتدل الصيغة في حال النفي على الحال العادي أو البسيط ٦١ ،ومن أمثلته في نونية الجواهري قوله :

أقول لو كنز قارونٍ وقد عَلِمَتْ

كفّايَ أن ليس يُجدي كَنز قارون ٦٢

فدلّ قوله : (ليس يجدي كنز قارون) على الزمن الحاضر الممتد إذ يوحي معنى البيت بامتداد معنى النفي هذا في الزمن الحالي وخاصة بعد أن تأكد معنى الجملة بـ(أن) إذ يقوم تأكيد الجملة بـ(أن) مقام تكرارها مرتين ٦٣. ومثله قوله:

أقولُهنَّ وعندي علمُ ذي ثِقةٍ

أن ليس يُؤخَذ علمٌ بالأظانين ٦٤

فقد أوحى قوله : (أن ليس يؤخذ علم..) بنفي الحدث واقع في الزمن الحاضر الممتد إلى المستقبل غير أن سياق البيت يصلح أن يكون المعنى فيه ممتداً من الماضي إلى الحاضر وحتى المستقبل ،إذ لا يؤخذ العلم بالأظانين في أي زمان.

الحاضر التجددي (الحال المتجددة) :

وهو ما يقع مرات متكررة في الحاضر وتكون صيغة (يكون يفعل) أو (يكون فاعلاً) غير أن هذه الصيغ لم ترد في قصيدة الجواهري وما ورد فيها نفيها، إذ تُنفى هذه الصيغ بصيغة (ما فعل)٦٥ فتدل على نفي وقوع الحدث في زمن الحاضر المتجدد الحدوث .ومثاله قول الجواهري :

أريننـي أن عندي من شوافعها

إذا تباهى زكيٌّ ما يزكيني ٦٦

فدلّ قوله : (ما يزكيني) على نفي وقوع الحدث في الحاضر بشكل متكرر الحدوث . أي أن

نفي حدوث التزكية حدث في هذا الزمن غير مرة فهو متجدد الحدوث في الحاضر. وتتأتى الدلالة على الحاضر المتجدد بصيغة (هل يفعل)٦٧ ، ومثلها قوله:

جُبْ أربُعَ النقد ، واسألْ عن ملاحمها

فهل ترى من نبيغ غير مطعون ؟٦٨

فجاء الاستفهام في الزمن الحاضر المتجدد الوقوع . ومثله قوله :

يا دجلة الخير : هل أبصرت بارقةً

ألقت بلمحٍ على شطَّيكِ مظنون ؟٦٩

في البيت " تلميح بالغموض والشك والحيرة التي تحيط بفلسفة الموت والعدم، والشاعر يشبه العمر الذي ينبعث من مجهول ، وينتهي إلى مجهول بالبارقة"٧٠ .فجاءت صيغة (هل أبصرت بارقة) دالة على الاستفهام عن رؤية بارقة في الحاضر غير أن هذا الحاضر متجدد الحدوث .

جملة الزمن المستقبل :

المستقبل هو كل ما لم يقع في أثناء زمن التكلم، و"هو ما يخبر عن وجوده في زمان متقدم على زمان وجوده"٧١.وقد يكون المستقبل قريباً أو بعيداً، ويقع تحديد الجهة الزمنية للمستقبل على القرائن اللفظية ،ومنها الأدوات والضمائم، كدلالة السين على تقريب المستقبل من الزمن الحاضر ، فيأتي دالاً على المستقبل القريب، وسوف التي تبعده عن زمن التكلم، فتجعله دالاً على المستقبل البعيد٧٢.فضلاً عن قرينة السياق، إذ تكثر دلالة المضارع على المستقبل في سياقات: الدعاء، والنهي، والتمني، والترجي.

المستقبل البسيط :

وصيغة هذا الزمن المضارع الصرفي ، ويكون الزمن فيها غير محدد فهو يـ شمل المستقبل كله ، وإذا ما أريد تحديد الزمن بهذه الصيغة فيكون الاعتماد على الظروف والقرائن الحالية ٧٣. ونفيها (لا يفعل)

إذ قال سيبويه : " إذا قال: هو يفعل ولم يكن واقعاً فنفيه لا يفعل . وإذا قال : ليفعلنّ ، فنفيه : لا يفعل"٧٤. ورأى المبرد أنها "إذا وقعت على فعل نفته مستقبلاً " ٧٥. وقيل: إن المضارع المنفي بـ(لا) يدل على الحال والاستقبال٧٦.

ولا تحمل (لا) دلالة زمنية في ذاتها لكنها تكتسبها من السياق ،إذ تتركب مع المضارع مكونة الصيغة (لا يفعل) التي تذبذب المحدثون في دلالتها على الزمن، فمنهم مَن رأى أنها تدل على المستقبل البسيط٧٧، ومنهم مَن جعلها لنفي الماضي المتصل بالحال وقد تنفي الحال٧٨ .والراجح أنها "لمطلق النفي إلا إذا ورد في الجملة ما يقيد الزمن ويوجهه "٧٩.

وترد (لا) لنفي المضارع في مواضع متعددة من القصيدة تنحصر في صيغ منها: صيغة (لا يفعل) الدالة على مطلق النفي كما في قوله :

الطالحاتُ فما يبعثنَ صالحةً

ولا يبعثرْنّ إلاّ كلَّ مأفــون ٨٠

ومثله قوله :

لا يُولد المرءُ لا هراً ولا سَبُعاً

لكن عصارة تجريبٍ وتلقين ٨١

ومن دلالة هذه الصيغة على المستقبل البســيط قوله :

أشكو المرارة من إعناتِ جامحةٍ

منها إلى سمحةٍ برٍّ فتُشكينيني

مثل الضرائر هذي لا تطاوعني

فاستريحُ إلى هــذي فتؤوينـــي ٨٢

إذ تبين من سياق البيتين أن الضرائر امتنعــت عن مطاوعته في حال حديثه وحتى المســتقبل فعدل عنها إلى سواها .

ويتأتى هذا الزمن بصيغة فعل الأمــر (افعــل) أيضاً ، إذ رأى ابن جني أن صيغة الأمر هــذه تعبر عن طلب الفعل في المستقبل فقط ، وقــد تأتي لغيره بقرينة ٨٣ وهذا ما نصّ عليه ابــن مالك في قوله : ﴿الأمــر مســتقبل أبــداً) ٨٤ .ومنه قول الجواهري :

جُبْ أربُعَ النقد ، واسألْ عن ملاحمها فهل

ترى من نبيغٍ غير مطعونٍ ؟٨٥

فتجلت صيغة (افعل) في الفعلين (جُب ، اسأل) وكلاهما طلب للفعل في المستقبل إذ لم يقعا بعد في حال التكلم .

الخاتمة :

إن النظام الزمني للفعل هو وظيفة الصيغة الفعلية المفردة ، و إن مفهوم الزمن النحوي وظيفة في السياق . فالزمن ينبع من الجملة بما فيها من عناصر مختلفة : من حروف و أدوات و ظروف وهي قرائن لفظية فضلاً عن القرائن الحالية والتاريخية التي تسهم في تحديد الجهة الزمنية : من بعد و قرب و استمرار و تجدد . وقد استثمر الجواهري متنبي عصره الزمن النحوي في قصيدته (يا دجلة الخير) موضع البحث في الكشف عن دلالات زمنية تخدم دلالة السياق وتقويها . موظفاً الزمن : ماضيه ، وحاضره ، ومستقبله ، بما فيه من جهات زمنية مختلفة . بيد أن الزمن الماضي بجهاته المختلفة هيمن على قصيدته التي تغنت بحب دجلة التي فارقها ، فتجاذب الماضي مع أجواء الحنين والاشتياق التي لفت القصيدة . بيد أن صيغ الماضي المتجدد ، والماضي المستمر ، و الماضي المتصل بالحاضر هيمنت على صيغ الماضي الواردة في القصيدة مما يشعر متلقيه بتلازمه مع ذكرياته البغدادية ، وإن كان بعيداً عن بغداد و دجلتها ، وما ورد عنده الماضي المنقطع عن الحاضر الذي يوحي بانقطاعه عنها إلا في مواضع قليلة تم الوقوف عندها في موضعــها . أما الحاضر فلــم ترد منــه إلا صيغة الحاضر التجــددي (يكون يفعل) ، و(ما يفعل) ، وصيغة الحاضر البسيط المتمثل بصيغة (يفعل) ، و(فاعل) ، كذلك المستقبل فما جاء إلا بصيغة المستقبل البسيط المتمثل بصيغتي : (لا يفعل) ، و (افعل) ، وفي

مواضع قليلة مقارنة بورود الماضي في نونيته هذه .

وقد تقدم القول بتجاذب الزمن الماضي مع سياق الاستذكار والحنين إلى أيام خلت وهذا يوحي من جهة أخرى بدلالة الحاضر والمستقبل على التفاؤل وحب الحياة ؛ لما فيهما من دلالة على زمن لم يعاش أو بدأ ولم ينتهي بعد ، وهذا لا يتسق كثيراً و أجواء الشجن والحزن المترتبة على فراق المكان الأليف قسراً .

الهوامش :

[١]- لسان العرب (زمن) /١٣/١٩٨

[٢]- شرح المفصل :٤/٢٠٧

[٣]- ينظر الزمن في النحو العربي (كمال ابراهيم بدري) :٢٣ ، و الزمن النحوي في الشعر الجاهلي:٢

[٤]- اللغة العربية معناها ومبناها:٢٤١ ،و ينظر نحو الفعل(د.عبد الستار الجواري):٣٠ - ٣١

[٥]- اللغة العربية معناها ومبناها :٢٤٢

[٦]- ينظر تفصيل ذلك في المصدر السابق:١٧١- ٢٤٠

[٧]- ينظر المصدر نفسه :٢٤٨

[٨]- ينظر الدلالة الزمنية في الجملة العربية: ٥٦

[٩]- ينظر اللغة العربية معناها ومبناها :٢٤٦

[١٠]- الديوان :٥/٨٣

[١١]- إذ قال : يا دجلة الخير يا نبعاً أفارقه على الكراهة بين الحين والحينِ .الديوان :٥/٨٣

[١٢]- ينظر معاني النحو :٤/٥٧٠

[١٣]- الديوان :٥/٩٠

[١٤]- الديوان :٥/٩٧

[١٥]- ينظر الدلالة الزمنية في الجملة العربية :٦٢

[١٦]- ينظر اللغة العربية معناها ومبناها :٢٤٦

[١٧]- ينظر مغني اللبيب: ١/١٩٦

[١٨]- الديوان :٥/٨٤

[١٩]- الجنى الداني : ٢٥٥

[٢٠]- المصدر نفسه والصفحة نفسها

[٢١]- الديوان :٥/٨٨

[٢٢]- الديوان :٥/٩٧

[٢٣]- مغني اللبيب :١/١٩٥

[٢٤]- الديوان :٥/١٠٧

[٢٥]- ينظر شرح المفصل :٨/١٠٧

[٢٦]- الديوان :٥/٩٠

[٢٧]- ينظر الدلالة الزمنية في الجملة العربية :٦٢

[٢٨]- الديوان :٥/١٠٧

[٢٩]- ينظر الزمن النحوي في الشعر الجاهلي :١٧٠

[٣٠]- الديوان :٥ /٩١

[٣١]- ينظر اللغة العربية معناها ومبناها :٢٤٧

[٣٢]- تعد (لم) من الأدوات المركبة إذ تتركب من (لا) و (ما) بعد حذف الألف من (لا) فصارت (لما)ثم حذفت ألف (ما) لتطرفها وترددها في الاستعمال . وقيل: إن أصل النفي في العربية أن يكون بـ(لا) وإن العربية قد اشتقت منها أدوات منها (ليس، ولن،ولم) .وليست (لم) إلا (لا) بزيادة (ما) . ينظر التطور النحوي :١١١- ١١٥ ،وفي النحو العربي نقد وتوجيه :٢٥٥ .

[٣٣]- كتاب سيبويه :٤/٢٢٠

[٣٤]- ينظر معاني الحروف:١٠٠، والجنى الداني :٢٦٧ ، وقواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ١٨٢ .

[٣٥]- ينظر في النحو العربي نقد وتوجيه :٢٥٤

[٣٦]- ينظر المقتضب:١/٤٦ ،وينظر معاني الحروف:١٠٠ ،وشرح المفصل: ٧/٤١ ، والجنى الداني:٢٦٦، ودراسات في الأدوات النحوية (د.مصطفى النحاس) :٤٦

[٣٧]- ينظر الزمن النحوي في الشعر الجاهلي: ١٣٤

[٣٨]- ينظر اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٤٧

[٣٩]- ينظر مغني اللبيب:٣٠٨/١ ، وشرح شذور الذهب (ابن هشام):٣٠

[٤٠]- الديوان :٨٨/٥

[٤١]- قال صاحب اللسان :" ليس يراد بمازال ولا يزال الفعل من زال يزول ... ولكنه يراد بها ملازمة الشيء ، والحالة الدائمة" لسان العرب : (زيل) ٣١٧/١١ .

[٤٢]- الدلالة الزمنية في الجملة العربية : ٨٢

[٤٣]- ينظر شرح ابن عقيل :١٦٩/٣

[٤٤]- الديوان :٥/ ١٠٦

[٤٥]- الديوان :٥ /٩٦

[٤٦]- ينظر حاشية المحققين رقم (٢) ،ينظر الديوان ٥ /٩٦

[٤٧]- الديوان :٩٢/٥

[٤٨]- الديوان:٥ /٩٥

[٤٩]- قال سيبويه : "فمفعول مثل يفعل" كتاب سيبويه :١٠٩/١

[٥٠]- ينظر اللغة الشاعرة مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية(عباس محمود العقاد):٤٩ ، والزمن النحوي في الشعر الجاهلي:١٩١

[٥١]- الدلالة الزمنية في الجملة العربية:٨٩

[٥٢]- إن تسمية المضارع لا تشعر بالزمان، وسمي بها لمضارعته الاسماء في حركاته وسكناته –أعني اسماء الفاعلين- دلالة على إعرابه. ينظر في النحو العربي نقد وتوجيه :١١٥، ومعاني النحو:٣١٤/٣.

[٥٣]- نحو الفعل :٣٠

[٥٤]- نحو التيسير(د.عبد الستار الجواري):٧٥

[٥٥]- ينظر في النحو العربي قواعد وتطبيق :٢٢

[٥٦]- ينظر اللغة العربية معناها ومبناها :٢٤٥

[٥٧]- ينظر الدلالة الزمنية في الجملة العربية :٨٩

[٥٨]- الديوان :٨٦/٥

[٥٩]- الديوان :٥ /٨٥

[٦٠]- الديوان :٥ /٨٥

[٦١]- ينظر اللغة العربية معناها ومبناها :٢٤٨ ،و الدلالة الزمنية في الجملة العربية :٩٢

[٦٢]- الديوان :١٠١/٥

[٦٣]- ينظر شرح المفصل :٢٥٦/٤

[٦٤]- الديوان :١٠٢/٥

[٦٥]- ينظر اللغة العربية معناها ومبناها :٢٤٨

[٦٦]- الديوان :٩٨/٥

[٦٧]- ينظر اللغة العربية معناها ومبناها :٢٤٩

[٦٨]- الديوان :٩٧/٥

[٦٩]- الديوان :١٠٠/٥

[٧٠]- ينظر حاشية المحققين :٥ /١٠٠

[٧١]- الحلل في اصلاح الخلل من كتاب الجمل (البطليوسي) :٦٨.

[٧٢]- وقد رأى الكوفيون أن (سوف) ترادف السين في الدلالة ،على حين رأى البصريون أنهما يدلان على المستقبل إلا إن (سوف) أشد تراخياً في الاستقبال ،وهو الراجح. ينظر الانصاف في مسائل الخلاف:٦٤٦/٢ (المسألة: ٩٢) ، وينظر مغني اللبيب:١٥٩/١.

[٧٣]- ينظر الدلالة الزمنية في الجملة العربية :١٠٥

[٧٤]- كتاب سيبويه:١١٧/٣.

[٧٥]- المقتضب: ٤٧/١

[٧٦]- ينظر تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد :٥٠٤ ؟والجنى الداني:٢٩٦، ومغني اللبيب:٢٧٢/١

[٧٧]- ينظر اللغة العربية معناها ومبناها:٢٤٨، ودراسات في الأدوات النحوية:٦١

[٧٨]- ينظر الزمن في النحو العربي:١٨١

[٧٩]- اسلوبا النفي والاستفهام في العربية:١٠٣

[٨٠]- الديوان :٥ /٩٢

[٨١]- الديوان :٥ /٩٣

[٨٢]- الديوان :١٠٢/٥

[٨٣]- ينظر اللمع في العربية :١٠٨

[٨٤]- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد :٤

[٨٥]- الديوان :٩٧/٥

مصادر البحث :

١. أسلوبا النفي والاستفهام في العربية في منهج وصفي في التحليل، د٠خليل أحمد عمايرة ، جامعة اليرموك، د٠ت

٢. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين والكوفيين ،لكمال الدين عبد الرحمن بن محمد أبي بركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ) دار إحياء التراث العربي ، ومعه كتاب الانتصاف من الانصاف لمحمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ،ط٤ ،١٩٦١م .

٣. تسهيل الفوائد و تكميل المقاصد ، لمحمد جمال الدين ابن مالك (ت٦٧٢هـ) تحقيق :محمد كامل بركات ، دار الكتاب العربي ،القاهرة ،١٩٦٧م .

٤. التطور النحوي للغة العربية .محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية المستشرق : برجستراسر ، أخرجه وصححه وعلق عليه د٠ رمضان عبد التواب ، الناشر: مكتبة الخانجي في القاهرة، ودار الرفاعي في الرياض ،مطبعة المجد، ١٩٨٢ م..

٥. الجنى الداني في حروف المعاني ،للحسن بن أم قاسم المرادي ، تحقيق : د. فخر الدين قباوة ، والاستاذ محمد نديم فاضل ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط ١ ،١٩٩٢م.

٦. الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل ، لعبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي ، تحقيق : سعيد عبد الكريم سعودي ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام سلسلة كتب التراث (٩٤) دار الرشيد للنشر، العراق / بغداد ،١٩٨٠م.

٧. دراسات في الأدوات النحوية (تأصيل الأداة وعلاقة الأدوات بالزمن النحوي ، تطور المعنى الوظيفي لبعض الأدوات) د.مصطفى النحاس ، الربيعان للنشر والتوزيع ،الكويت ،ط ٢ ،١٩٨٦م.

٨. الدلالة الزمنية في الجملة العربية ،د٠علي جابر المنصوري ، طبع بمطبعة الجامعة ، بغداد ، ط ١ ،١٩٨٣م .

٩. ديوان الجواهري ، جمعه و حققه د. ابراهيم السامرائي ، د. مهدي المخزومي ، د. علي جواد الطاهر ، و رشيد بكتاش ، مطبعة الأديب البغدادية ،١٩٧٥ م.

١٠. الزمن في النحو العربي ، كمال ابراهيم بدري ،دار أمية للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٩٨٤م٠

١١. الزمن النحوي من الشعر الجاهلي ، ليث أسعد عبد الحميد ، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية ،١٩٩٥ م٠

١٢. السياب ونازك و البياتي دراسة لغوية ، د. مالك يوسف المطلبي ، دار الشؤون الثقافية ،بغداد ، ط٢، ١٩٨٦م.

١٣. شرح ابن عقيل عل ألفية ابن مالك، لبهاء الدين عبد الله بن عقيل (ت ٧٦٩هـ) ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل ، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد ،دار الكتب ،جامعة الموصل ،١٩٩٩م.

١٤. شرح شذور الذهب ، لابن هشام الانصاري ، تحقيق محمد ياسر شرف ، مكتبة لبنان (كنوز التراث العربي) بيروت ،١٩٩٠ م، ط١.

١٥. شرح المفصل للزمخشري موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣هـ) قدم له ووضع حواشيه : د. أميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٦. في النحو العربي قواعد و تطبيق على المنهج العلمي الحديث ، د. مهدي المخزومي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ط١، ١٩٦٦م .

١٧. في النحو العربي نقد وتوجيه ، د. مهدي المخزومي ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ط٢ ،١٩٨٦م .

١٨.قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم ،د٠سناء حميد البياتي ، دار وائل للنشر عمان / الأردن، ط١ ،٢٠٠٣م .

١٩.كتاب سيبويه ،لعمر بن عثمان بن قنبر (١٨٠هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون ،عالم الكتب /بيروت ، ومطابع دار القلم /القاهرة.

٢٠.لسان العرب ، للعلامة جمال الدين ابن منظور المصري (ت ٧١١هـ) دار صادر ، بيروت.

٢١.اللغة الشاعرة مرايا الفن والتعبير في اللغة العربية ، عباس محمود العقاد ، منشورات المكتبة العصرية ،بيروت ، د. ت .

٢٢.اللغة العربية معناها و مبناها ، د. تمام حسان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م٠

٢٣.اللمع في العربية ، لابن جني ،تحقيق :فائز فارس ، دار الأمل /عمان ،١٩٨٨م.

٢٤.معاني الحروف ، تأليف: علي بن عيسى أبي الحسن الرماني (ت٣٨٦هـ) ، حققه وخرج شواهده وعلق عليه: د٠عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، مكتبة الطالب الجامعة بمكة المكرمة د٠ت

٢٥.معاني النحو ، د. فاضل صالح السامرائي ، بيت الحكمة، الموصل، ١٩٨٩م.

٢٦.مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ،لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ) طبعة جديدة منقحة ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ،المكتبة العصرية ، بيروت ٢٠٠٥م.

٢٧.المقتضب ،لأبي العباس المبرد (ت ٢٨٥هـ) تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة، ١٣٨٥هـ.

٢٨.نحو التيسير – دراسة ونقد منهجي ، د. أحمد عبد الستار الجواري ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ،بغداد، ١٩٨٤م

٢٩.نحو الفعل ، د. أحمد عبد الستار الجواري ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد، ١٩٧٤م